Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

Contemporary International Scientific Forum
for Educational, Social, Human, Administrative and Natural Sciences
"Present Vs Future Outlook"

الملتقى العلمي الدولي المعاصر
للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية والادارية والطبيعية

"نظرة بين الحاضر والمستقبل

30 - 31 ديسمبر –2019 - اسطنبول – تركيا

http://kmshare.net/isc2019

Purposes of sequencing repealing in the Arabic language

Dr. Yousef Mohammad Saud Owaihan Alenezi

Kuwait university - Kuwait

Summary

Abstract: This research tried to present a vision of one of the most important phenomenons in the Arabic Language which is, the submission and delays phenomenon. It was named (sequencing repealing) by Ibn Jinni. Without a doubt, this phenomenon is one of the most important semantic researches, because of the rhetoric methods and art of expression that it contains. It is the choice for any speaker that needs to express any meanings inside his soul. I have tried to compare this phenomenon in the English language where i described the linguistic flexibility that the synthetic sayings has in the submission and delays in comparing with the English language that consists of one saved rank of (subject - predicate) pattern. Confirming that this phenomenon is one of the forms of the braveness, flexible synthetics and ultimate freedom of the Arabic language for the sake of reaching the speaker's purposes to the extent that any simple change can affect the motion and faces of meanings inside the synthetics.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

نقض المراتب في النحو العربي

(أغراضه وآثاره الدلالية)

د. يوسف محمد سعود عويهان العنزي

جامعة الكويت ـ الكويت

الملخص

حاول هذا البحث تقديم تصور لظاهرة من أهم الظواهر النحوية دورانا في الكلام العربي، وهي ظاهرة التقديم والتأخير والتي سماها ابن جني (نقض المراتب)، ولا شك أنَّ هذه الظاهرة مبحث من مباحث علم المعاني المهمة؛ وذلك لما فيه من أساليب البلاغة والتفنن في التعبير، وهو اختيار من الاختيارات التي يجنح إليها المتكلم لبّثِّ ما في نفسه من معانٍ، وقد بينت في هذا البحث أغراض هذه الظاهرة وأهدافها الدلالية. مستعرضا إشارات النحاة وإيماءاتهم الدالة على الأغراض الدلالية والفنية للتقديم والتأخير مؤكدا بأنها مظهر من مظاهر شجاعة العربية ومرونة تراكيبها وحريتها المطلقة في سبيل الوصول إلى أغراض المتكلمين لدرجة أنَّ زحزحة يسيرة أو تغييرا هينا يؤثر على حركة المعاني داخل التراكيب، وعلى وجوه المعاني فيها.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

المقدمة:

لا شك أنَّ التقديم والتأخير مبحث من مباحث علم المعاني المهمة؛ وذلك لما فيه من أساليب البلاغة والتفنن في التعبير، وهو اختيار من الاختيارات التي يجنح إليها المتكلم لبّثِّ ما في نفسه من معانٍ، وقد ألمح إمام النحاة سيبويه إلى أهميته بالنسبة للمتكلم والسامع حين أشار إلى أن تقديم المفعول به على فاعله في قولك: (ضرب زيدًا عبدُ الله) إنما يكون لغرض معنوي هو العناية والاهتمام بأمر المتقدم، وهذا الأمر راجع لحال المتكلم والسامع لأن العرب "إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهِمّانهم ويعنيانهم"(1).

ووصفه عبد القاهر الجرجاني بأنه "باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفتَرُّ لكَ عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك؛ أن قُدِّم فيه شيءٌ على شيءٍ، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"(2).

ومعنى هذا أن باب التقديم والتأخير قد حظي باهتمام كبير من قِبَلِ النحاة والبلاغيين؛ لأنه كما يقول د. محمد أبو موسى: "يُعَدُّ مظهرًا من مظاهر كثيرة تمثل قدرات إبانة، أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللَّقِن إدارة حية وواعية؛ فيسخرها تسخيرًا منضبطًا للإبانة عن معانيه ومقاصده، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير يَحدث فيها يُحدِث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني وأحوالها وصورها وظلالها"(3).

ويضرب د. أبو موسى مثالا للأثر البلاغي الذي ينشأ عن اختلاف المعاني المترتبة عن التقديم والتأخير في قولك (زيدٌ جاءني) وقولك (جاءني زيدٌ) فيقول:

---

(1) الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الرابعة 1425هـ- 2004م ، 1/ 34 .

(2) دلائل الإعجاز: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة 1424هـ- 2004م ص106.

(3) دلالات التراكيب (دراسة بلاغية): د . محُمد محمد أبو موسى، طبعة مكتبة وهبة، الثالثة 1425هـ- 2004م، ص 176.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

"أنت تقول: زيدٌ جاءني، إذا أردت أن تفيد فوق الإخبار بالمجيء ضربا من الاهتمام بزيد والحفاوة بأمره، وتوكيد تلك الحفاوة لسامعك لأهميتها، أو لأنه على حال لا يُتوقع مجيء زيد، وما شابه ذلك من تلك الألوان النفسية التي يبوح بها تقديم المسند إليه، فإذا قلت: جاءني زيدٌ انقطع هذا الفيض من الهواجس والخواطر، وكان الكلام كلاما مرسلا، يجري في سياق خال من تلك النبضات التي جرى فيها السياق الأول"(1).

وهكذا كانت مرونة الكلمات وطواعيتها للتقديم والتأخير عاملا مهما من عوامل ثراء المعنى واتساعه، وإن كان الغرض من هذا التقديم والتأخير هو الاهتمام بأمر المقدم وتوكيده، إلا أن التقديم والتأخير قد يقلب الجملة رأسًا على عقب، ويغيّر دلالتها تغييرًا جذريا تبعا لتغير الموقع ومن ذلك على سبيل المثال قولك: (عرفتُ على عجل كيف جئتَ) و(عرفتُ كيف جئتَ على عجل) فمعنى الجملة الأولى: أن المعرفة كانت على عجل، ومعنى الجملة الثانية: أن المجيء كان على عجل، وقد تغير المعنى بحسب موقع الجار والمجرور.

وهكذا رأينا كيف كانت مرونة الرتبة في الجملة وحريتها وتبادل مواقع الكلمات فيها عاملا مهما من عوامل مقاصد المتكلمين، وأغراضهم النفسية؛ لأن هدف اللغة –أية لغة– يكمن في التعبير عن أغراض المتكلمين بها، وبناء العبارة على التقديم والتأخير إنما يكون "بناء خواطر ومشاعر واختلاجات قبل أن يكون هندسة ألفاظ وتصميم قوالب، وإذا كان السياق سياقا فياضا وحافلا أبدت هذه الزحزحات الخفيفة للكلمات غنى وفيضًا"(2).

***البند الأول*: أحوال التقديم والتأخير :**

للتقديم والتأخير – من جهة المعنى والدلالة– أحوال أربع:

الأول: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى، واليه المرجع في فنون البلاغة، والكتاب الكريم هو العمدة في هذا، انظر إلى قول الله Y: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ*إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾(3) تجد أنَّ تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

(1) المرجع السابق: نفسه.
(2) ينظر دلالات التراكيب ص 176.
(3) الآية (22 – 23) من سورة القيامة .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

الثاني: ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو قول الله Y: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(1) فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة، وأنه ينبغي ألا تكون لغيره، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث: ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس في هذا النوع شيء من الملاحة، ومنه قول إبراهيم بن المهدي، وهو من الطويل:

وكانتْ يَدِي مَلأَى بِهِ ثُمَّ أصْبَحَتْ بِحَمْدِ إِلَهِي وَهْيَ مِنْهُ سَلِيْبُ

والتقدير أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي، وسليب بمعنى مسلوب أي منتزع مأخوذ.

الرابع: ما يختل به المعنى ويضطرب، وهو التعقيد اللفظي أو ما يسمونه المعاظلة كأن يقدم المتكلم الصفة على الموصوف، أو الصلة على الموصول، أو نحو ذلك من الأنواع التي تخرج التراكيب عن الفصاحة، ومنها قول الفرزدق من الطويل أيضا:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّه من مُحَارِبٍ أَبوهُ، وَلَا كَانَت كليبٌ تُصَاهِرُهْ

فتقديره: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق، حتى يفهم المراد منه(2).

البند الثاني: أغراض التقديم والتأخير:

1- الاهتمام بالمقدم، والعناية به:

يُعدُّ هذا الغرض هو الأعم الأغلب في التقديم عند النحاة، حتى صار كالقانون الذي يحكم أمر هذا الباب العظيم النفع، الكبير الفائدة، ولعل اهتمام النحاة بأن يقولوا – في كثير من مواضع التقديم– إنه قدم للعناية والاهتمام يرجع إلى ما ألمح إليه (سيبويه) في كلمته السابقة من أن (العرب يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهم ببيانه أعنى)؛ وبناء

(1) جزء من الآية (66) من سورة الزمر .

(2) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، طبعة المكتبة العصرية، بيروت ص123.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

على ذلك تَبَنَّى كثير من النحاة هذه الكلمة، إلا أنَّ عبد القاهر الجرجاني استنكر ذلك التعميم، قائلا: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام..." (1).

وقال في موضع آخر رادًا على من يقصر أمر التقديم والتأخير على العناية والاهتمام من غير أن يُفسِّر هذه العناية، ويُبيِّن أمر هذا الاهتمام:

"... وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهمُّ من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبمَ كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه حتى إنك لترى أكثرَهم يرى تتبُّعَه والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم ترَ ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"(2).

وقد ذهب د. محمود شيخون مذهب الإمام عبد القاهر في إلقاء اللائمة على النحاة في قولهم بالعناية والاهتمام غرضًا رئيسًا للتقديم والتأخير، وقال إن أغراض هذا الباب كثيرة جدا، وهذه الأغراض قام بتجليتها وكشف نقابها علماء البلاغة، يقول:

على الرغم من كثرة أسرار التقديم والتأخير ولطائفه فلم يهتم به كثير من متقدمي النحاة ولم يبينوا ما له من أثر في الكلام، وكان عمدتهم في بيان سبب ما قُدِّم أن يقولوا: قُدِّم للعناية به ولأن ذكره أهم ... وذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة، وحال بينهم وبين الوقوف على مناشئها وأسبابها وكيف يتفاوت الكلام في درجات البلاغة والبيان، ولقد فطن إلى أهميته وعظيم أثره صفوة من علماء البلاغة الأعلام؛ فأفردوا له أبوابا خاصة في مصنفاتهم، وتناولوه بالدراسة والتحليل، ثم وضعوا له قواعد وضوابط تعصم الأذهان من الخطأ في فهمه، ثم كشفوا النقاب عن كثير من لطائفه وأسراره(3).

والحق أن في هذا الكلام تحاملا كبيرا وواضحا من البلاغيين على النحاة، وقد أوضح د. محمد عبد المطلب أنَّ ما قال به عبد القاهر عن قصور النحاة في قصر غرض التقديم والتأخير على القول بالعناية والاهتمام غير دقيق لأن

---

(1) دلائل الإعجاز : ص 107 .

(2) المصدر السابق : ص 108 .

(3) ينظر أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: د. محمود السيد شيخون، طبعة دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة (د. ت) ص4 بتصرف يسير.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

"سيبويه– في الحقيقة–لم يقتصر في بيان سرِّ التقديم على العناية والاهتمام، بل جعله يأتي أحيانًا لتنبيه المخاطب وتأكيد الكلام، وعبد القاهر نفسه يعود وينقل عن سيبويه في موضع آخر أنه إذا بنى الفعل على الاسم قلت: (زيد ضربته) فلزمته الهاء، وإنما تريد بقولك: مبني عليه الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت: (عبد الله منطلق) فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به، فإنما قلت: عبد الله فنبهته ثم بنيت عليه الفعل، ورفعته بالابتداء، كما يعلق عبد القاهر على قول الشاعر من الطويل:

هُمُ يُفْرِشُونَ اللِّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ وأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المغَالِيا

بدأ بذكرهم لينبّه السامع لهم، ويُعْلِمَه بديًّا قصدَه؛ ليمنعه بذلك من الشك، وهذا الذي ذكرت من أن تقديم ذكر المحدَّث عنه يفيد التنبيه قد ذكره صاحب الكتاب"(1).

وبناء على هذا فإن النحاة ما فرطوا في التنبيه على بعض الدلالات الأخرى، ولكنهم ذكروا العناية والاهتمام كغرض رئيس تندرج تحته أغراض أخرى بحسب السياق اللغوي الذي ورد فيه التقديم والتأخير.

وثمة أمر آخر أود التنبيه إليه، وهو: أن النحاة اهتموا أولا بضبط قواعد اللغة؛ حتى يعصموا الألسنةَ اللحنَ، على أن يكون نظرهم في جماليات التراكيب أمرا لاحقا، وهو الأمر الذي عُني به البلاغيون ببحثهم جماليات الأساليب العربية وخصوصياتها "فالنحوي ينظر في وجوه الكلام وتراكيبه من حيث الصحة والفساد، أما البلاغي فينظر في هذه الوجوه والتراكيب من حيث الحسن والجمال، والتأثير في المعنى"(2).

والحقيقة أن الفصل التام بين العلوم العربية أمر يأباه المنطق السديد؛ لأن "العقل العربي لم يكن يعرف الحدود الفاصلة بين العلوم والمعارف"(3).

---

(1) البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، طبعة الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان؛ الأولى 994م، ص331 .

(2) انظر البلاغة العالية (علم المعاني): عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب القاهرة، الثانية1411هـ–1991م، تقديم بقلم د. عبد القادر حسين، صفحة (ط).

(3) السياق وتوجيه دلالة النص: د. عيد بلبع، طبعة بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1429هـ– 2008م، ص193 .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

ومن ذلك أيضا قول الله Y عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾(1) فإنه لو أخر قوله: (من آل فرعون) عن (يكتم إيمانه) لتُوُهم أن (مِن) متعلقة بالفعل (يكتم) فلم يُفهم أن الرجل من آل فرعون، والمراد إفادة أنه منهم(2).

التشويق إلى المؤخر:

من أغراض التقديم تشويق السامع إلى المؤخر ليتمكن في نفسه، كقول الشاعر:

ثلاثةٌ تُشرق الدنيا بِبَهْجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقَمَرُ

ومنه قول الشاعر أيضًا :

وكالنـــارِ الحيـــاةُ فمـــن رمـــادٍ أواخرهـــــا وأَوَّلُهـــــا دُخـــــانُ

وهذا من تقديم المسند وهو الخبر على المسند إليه وهو المبتدأ(3).

2- التعجيل بذكر المقصود من مسرة أو مساءة .

وذلك حين يكون المقدمُ صالحًا للتفاؤل أو التطيُّر، نحو قولك لفلان في التعجيل بالمسرة: (العفو عنك صدر به الأمر) أو التعجيل بالمساءة: (القصاص منك حكم به القانون)(4) ومن التعجيل بالمسرة قول الشاعر:

سَـــعِدَتْ بِغُـــرة وجهـــكَ الأيامُ وتَزَيَّنَـــــتْ ببقائِـــكَ الأعـــوامُ

(1) جزء من الآية (28) من سورة غافر.

(2) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، طبعة دار الفكر-عمان الأردن الطبعة الثانية 1427هـ- 2007 م، ص 48 .

(3) ينظر البلاغة العالية: ص 83 .

(4) البلاغة والأسلوبية: ص335.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

3- التخصيص . يأتي التقديم المتَعَيَّنُ لإفادة التخصيص على عدة صور:

منها: أن يكون المقدَّمُ مسندًا إليه واقعًا بعد نفي، والمسند خبر فعلي، ومنه قولك: (ما أنا ضربتُ زيدًا) فأنت لم تقل هذا إلا وزيد مضروب، ولكن القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب(1) "وقد أفاد التقديم هنا نفي الفعل عن المتكلم خصوصًا، كما أفاد ثبوته لغير المتكلم"(2) ومنه قول الشاعر:

ومَا أَنا أَسْقَمْتُ جِسمِي بِهِ ولا أَنا أَضْرَمتُ في القلبِ نَارا

فالتقديم هنا أفاد نفي الخبر الفعلي(أسقمت نفسي) و(أضرمت في القلب نارا) عن المسند إليه الضمير (أنا) وإثباته لغيره "والمعنى على أن السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جره إلى نفسه"(3).

ومنها: أن يكون المسند إليه نكرة والمسند شبه جملة ظرفا أو جارا ومجرورا، ومن ذلك قول الله Y: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ...﴾(4) فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب، وقد أكد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال: (لا يعلمها إلا هو)، ونظيره أيضًا قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(5).

ومنها: تقديم بعض متعلقات الفعل، كتقديم المفعول به على عامله في قول الله Y: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾(6) فقد قدم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية، فلم يقل: (إيانا اهدِ) كما قال في الفعلين الأولين "لأن العبادة مختصة بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره، ولا يُستعان إلا به، أما فعل

---

(1) انظر دلائل الإعجاز: ص 124 .
(2) البلاغة والأسلوبية: ص 335 .
(3) دلائل الإعجاز: ص 125 .
(4) جزء من الآية (59) من سورة الأنعام .
(5) التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، طبعة دار عمار، عمان- الأردن، الطبعة السادسة 1430هـ- 2009م، ص51 .
(6) الآيتان (5 ، 6) : من سورة الفاتحة .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

الهداية فلم يقدم مفعوله عليه فلم يقل (إيانا اهدِ) كما قال في الأولَيْن؛ لأن طلب الهداية لا يصح فيه الاختصاص إذ لا يصح أن تقول: اللهم اهدني وحدي ولا تهدِ أحدًا غيري، أو خصني بالهداية من دون الناس"(1).

ومنها: تقديم الجار والمجرور على الفعل، كقوله Y: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾(2) قدم الفعل (آمنا) على الجار والمجرور (به) وأخر (توكلنا) عن (عليه) وذلك أن "الإيمان لما لم يكن منحصرًا في الإيمان بالله – بل لا بدَّ معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، وغيره مما تتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين الباقيين– قدم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره لأن غيره لا يملك ضرًا ولا نفعًا فيُتوكَلُ عليه"(3).

4- المدح والثناء والتعظيم.

ومن ذلك قول الله Y:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾(4) فقد قدم (نوحًا) وهو مفعول به على الفعل (هدينا) وهذا ليس من التقديم لأجل التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحًا، وإنما هو من باب المدح والثناء(5).

5- كسر الرتابة واتقاء الإملال.

(1) التعبير القرآني: ص 49 .
(2) جزء من الآية (29) من سورة الملك .
(3) البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة مكتبة دار التراث– القاهرة (د. ت) 414/2.
(4) جزء من الآية (84) من سورة الأنعام .
(5) التعبير القرآني: ص 51 .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

يأتي التقديم والتأخير "كسرًا للرتابة في الأسلوب واتقاء للإملال، ومن ذلك تحوير التراكيب بين الجمل الاسمية والفعلية كما في قول الله: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ...* وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا* يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُم﴾(1)"(2).

6- التوسع في المعنى.

(1) الآيات (26 ، 27 ، 28) من سورة النساء .

(2) البيان في روائع القرآن: ص73 .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

يلعب التقديم والتأخير دورًا كبيرًا في توسيع المعنى في العربية، ومن ذلك ما أورده عبد القاهر في قول الله Y: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ﴾(1) حيث يقول:

"ليس بخاف أن لتقديم (الشركاء) حُسنًا وروعة ومأخذا من القلوب أنت لا تجد شيئًا منه إن أنت أخرت فقلت: (وجعلوا الجن شركاءَ لله) وذلك أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، هو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن وإذا أُخر فقيل: (وجعلوا الجن شركاء لله) لَمْ يفد ذلك ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى، فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه"(2).

ثم يعلق عبد القاهر على الآية فيقول: "فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدَّم (الشركاء) واعتبره، فإنه ينبهك لكثير من الأمور ويدلك على عِظَم شأن النظم، وتعلم به كيف يكون الإيجاز به؟ وما صورته؟ وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ؟"(3).

ومن أمثلة توسع المعنى بالتقديم والتأخير أيضًا قولك عن فلان: "(أعددتُ له عذابًا مهينا) و(أعددت عذابا مهينا له) فإن العبارة الأولى تفيد أنك أعددت له عذابا مهينًا أي متصفا بالإهانة على وجه العموم، أما العبارة الثانية فإنها تفيد أن العذاب مهين له هو، وربما لم يكن مهينا لغيره، فقد تأمر شخصا بشيء يراه مهينا له ولا يراه آخر أنه كذلك، فالعبارة الأولى أشمل وأعمُّ، ذلك لأن الإهانة تشمله وتشمل غيره بخلاف الثانية"(4)، وهكذا كان اتساع المعنى من أهم أغراض التقديم والتأخير.

7- رعاية القافية والسجعة والفاصلة .

---

(1) جزء من الآية (100) من سورة الأنعام .

(2) دلائل الإعجاز : ص 286 ، 287 .

(3) دلائل الإعجاز : ص 287 ، 288.

(4) الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السامرائي، طبعة دار الفكر عمان الأردن، الطبعة الأولى 1428هـ- 2007م، ص164.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

معلوم أن للشعر مقومات تحكمه، وتحدد مساره مثل الوزن والقافية، ولذا فقد يخالف الشاعر النظام المألوف لبناء الجملة وذلك لضرورة إقامة الوزن، أو رعاية القافية "فالوزن هو وسيلة لجعل اللغة شعرًا"(1) والقافية "هي التي تملي على البيت مساره"(2)، ومما قُدِّم فيه وأُخِّر للضرورة قول الشاعر من الطويل:

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطِمُ ... وليس إلى داعي النَّدَى بسريعِ

ومثل التقديم لضرورة الشعر التقديم لضرورة السجع في النثر، وتناسب الفواصل في القرآن، ويرى د. تمام أن التقديم لمراعاة الفاصلة "مطلب من مطالب الأسلوبية"(3).

وكلمة د. تمام هذه على الرغم من وجازتها فإنها تحمل في طياتها معنى كبيرًا؛ لأنها توحي بأن الفاصلة راجعة للمعنى، وليست هدفا في حد ذاتها، كما ذهب إليه الزركشي إذ يرى أنه "إذا كان في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة، كقول الله Y: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾(4) فإنه لو أخر (في نفسه) عن (موسى) لفات تناسب الفواصل، وجعل منه السكاكي قوله تعالى:﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾(5) بتقديم (هارون) مع أنَّ (موسى) أحق بالتقديم"(6).

(1) بناء لغة الشعر: لجون كوين، ترجمة د. أحمد درويش، طبعة مكتبة الزهراء– القاهرة 1985م، ص 58.
(2) المرجع السابق: ص 85 .
(3) البيان في روائع القرآن: ص 73 .
(4) الآية (67): من سورة طه .
(5) جزء من الآية (70) : من سورة طه .
(6) البرهان في علوم القرآن: 3/234، 235.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

والصحيح أنه لا ينبغي أن تُقاس الفاصلة على القافية أو السجعة؛ وذلك لأن "فواصل القرآن مما هو مختص به، لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها، ولا تناسب"(1)، ومعنى هذا أن الفاصلة تابعة للمعنى وأنه المقصود الأول في الجملة "ثم تأتي الفاصلة منسجمة مع أخواتها عند اقتضاء المعنى لذلك، فإذا اقتضى المعنى غير ذلك لم يُراعِ الفاصلة، ولم يحسب لها حسابا، وإنما تكون المراعاة للمعنى أولا فإنه هو السيد في التعبير القرآني؛ ولذلك قد يأتي بفاصلة لا تشبهها فاصلة في جميع السورة وإن كثرت آياتها"(2).

وقد علق طائفة من العلماء على تقديم (هارون) على (موسى) في آية سورة (طه) السابقة، والتي أرجع الزركشي التقديم فيها لرعاية الفاصلة، ومن هؤلاء ما ذكره د. فاضل السامرائي بقوله: "قد تظن أن ذلك ما يقتضيه أواخر الآي، ونقول: صحيح إن أواخر الآي في سورة (طه) تقتضي أن تكون كلمة (موسى) هي الفاصلة، ولكن هناك ملحظٌ آخر يقتضي تقديم ما قُدم وتأخير ما أُخر، ولو لم تكن أواخر الآي كذلك... وذلك أن ذِكْرَ (هارون) تكرر في سورة (طه) كثيرًا، وقد جعله الله شريكا لموسى في تبليغ رسالته، هذا من ناحية... ومن ناحية أخرى أن الله ذكر في سورة (طه) خوف موسى فقال: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ ولم يذكر أن (هارون) خاف فكيف يقدم (موسى) بعد أن ذكر أنه خاف؟(3).

ويرى د. أبو موسى أنَّ "تقديم (هارون) على (موسى) في هذه الآية فيه إشارة معنوية لا تكون لو أُخِّر؛ وذلك أن موسى وهارون وإن حُمِّلا معا أمر الله ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ إلا أن موسى هو الأصل وهو الذي أوتي الكتاب وأُيد بالحجة وهذا يجعل لقولهم: (آمنا برب هارون وموسى) معنى ليس في قولهم: (آمنا برب موسى وهارون) لأن بدءهم بمن ليس أفضل دال على إظهار قوة الإقناع بالحجة والإيمان بها، وذلك لأن الآية لم تظهر على يد هارون

(1) إعجاز القرآن: للقاضي أبي بكر الباقلاني، تحقيق أبو بكر عبد الرزاق، الناشر مكتبة مصر (د.ت) ص53 .

(2) من أسرار البيان القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، طبعة دار الفكر، عمان–الأردن، الطبعة الأولى1430هـ 2009م، ص163.

(3) ينظر التعبير القرآني: ص 226 وما بعدها (بتصرف يسير) .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

ولم يكن هو الغالب، وليس في تقديم موسى–الذي لقفت عصاه ما صنعوا– شيئا يلفت لأنه هو الأصل، أما تقديم مالا دخل له في المعجزة التي عليها آمنوا فهو الأمر اللافت لأنه جاء على خلاف الأصل"(1).

أما د. حسن طبل فيرى أنَّ ثَمَّة سرا لطيفا في التقديم في الآية – فضلا عن رعاية نسق الفواصل، وأن التركيز على (هارون) في سورة (طه) كان أكثر منه في غيرها– وذلك أنَّ الآية في سورة (طه) تقدمها سؤال فرعون عن رب (موسى) ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾(2) ثم قال: "ولعلنا نلاحظ أنه بعد أن وجه السؤال إلى الرسولين (فمن ربكما؟) وجه النداء إلى موسى – عليه السلام– وحده (يا موسى) فكأنه كان يحس عند توجيه السؤال إليهما أنه أعجز من أن ينكر حقيقة الرب الذي أرسلهما كي يدعواه معا إلى عبادته (إنا رسولا رب العالمين) ومن ثَمَّ بادر عن طريق إفراد النداء (يا موسى) إلى محاولة لَيِّ حقيقة الربوبية بحيث تقتصر فحسب على معنى التربية التي نالها موسى في كنفه وليدًا، ولعلنا في ضوء ذلك ندرك أنَّ سرَّ تقديم (هارون) على (موسى) في مقولة السحرة ... كانت دفعًا لأي توهم وإعلاما بأنهم إنما سجدوا خاشعين للربوبية الحقة لا للربوبية المدعاة "(3).

وبناء على هذا فإن التقديم والتأخير لا يكون لأجل الفاصلة وحدها، بل لا بد معها من سبب معنوي يدعو إليها، وتقاس السجعة على الفاصلة في هذا، لأن السجع لا يوصف بالجودة إلا إذا كانت الألفاظ فيه تابعة للمعاني وإلا كان نغما موسيقيًا فارغًا إذ "السجع محسن بديعي منزلته في البلاغة بقدر الغرض منه"(4).

"ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى"(1).

---

(1) الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم): د. محُمد محمد أبو موسى، طبعة مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة الثالثة 1427هـ– 2006م، ص205.

(2) الآية (49) : من سورة طه .

(3) حول الإعجاز البلاغي في القرآن: د. حسن طبل، طبعة مكتبة الإيمان– المنصورة، الطبعة الأولى 1420هـ– 1999م، ص60، 61 .

(4) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : 213/1 .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

وبناء على ما سبق يتبين لنا أن ظاهرة نقض المراتب (التقديم والتأخير) وسيلة من أهم الوسائل البلاغية التي يتوصل بها إلى اختلاف المعاني، وشأنها في هذا شأن الظواهر السياقيَّة الأخرى، وهي مظهرٌ من مظاهر شجاعة العربيَّة؛ لأن فيها إقداما على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادًا على قرائن أخرى، ووصولاً بالعبارة إلى دلالاتٍ وفوائد تجعلها عبارةً راقيةً ذات رونقٍ وجمال، والأغراض الَّتي تتفتَّق عنها ظاهرة التقديم تبيِّن ثراءها وكثرة فوائدها، وكونها منبعًا ثرًّا لرقيِّ الأساليب وارتفاعها في البيان.

ولا يفوتني هنا أن أنوه إلى أمر مهم هو أنَّ تنامي الدلالات الخاصة بالتقديم والتأخير مرتبطةٌ بما أجازت ضوابط الاستعمال تقديمه، وهو حالات جواز التقديم التي نص عليها النحاة في كتبهم، أما حالات وجوب التزام الأصل فليست خاضعة لهذه الدلالات الفنية؛ إذ إن المتكلم فيها مرهون بالقواعد الحاكمة وإلاَّ كان عبثًا لا قيمة له ولا فائدة بل ربَّما يؤدِّي إلى إفساد المعنى.

الخلاصة:

لقد حاول هذا البحث الوجيز أن يقدم تصورا لظاهرة من أهم الظواهر النحوية دورانا في الكلام العربي، وهي ظاهرة (التقديم والتأخير) التي سماها الإمام ابن جني (نقض المراتب) وقد رامَ هذا البُحيثُ أن يُقدم تصورا – ولو وجيزا– عن أغراض هذه الظاهرة وأهدافها الدلالية.

وقد أدى العمل في هذا البحث على وجازته إلى ظهور بعض النتائج يمكن بلورتها في النقاط التالية:

1- أنَّ النحاة لم يهملوا الإشارات والإيماءات الدالة على الأغراض الدلالية والفنية للتقديم والتأخير.

2- أنَّ التقديم والتأخير مظهر من مظاهر شجاعة العربية ومرونة تراكيبها وحريتها المطلقة في سبيل الوصول إلى أغراض المتكلمين لدرجة أنَّ زحزحة يسيرة أو تغييرا هينا يؤثر على حركة المعاني داخل التراكيب، وعلى وجوه المعاني فيها.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرستاني، ومحمد أبو صعيليك، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م، 269/2 .

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

3- أنَّ هذه الظاهرة وسيلة لإثراء الفكر اللغوي بصفة عامة، والفكر البلاغي بصفة خاصة تتمثل في اختلاف الرؤى والآراء حول غرض التقديم وهدفه في الموضع الوارد فيه.

وأنا في النهاية لا أرى أنني قد استوفيت هذه الظاهرة الدقيقة حقها، أو وصلت فيها إلى الغاية، ولكن حسبي أنني حاولت أن أدل عليها وأن ألفت إليها ولو بالنزر اليسير من القول.

المصادر والمراجع:

أبو موسى، محُمد محمد (2006). الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم). القاهرة: مكتبة وهبة.
أبو موسى، محُمد محمد (2004). دلالات التراكيب (دراسة بلاغية). القاهرة: طبعة مكتبة وهبة.
الباقلاني، أبو بكر. تحقيق أبو بكر عبد الرزاق. إعجاز القرآن. مكتبة مصر
بلبع، د. عيد (2008). السياق وتوجيه دلالة النص. الرياض: بلنسية للنشر والتوزيع.
الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، محمود محمد شاكر (2004). دلائل الإعجاز. القاهرة: طبعة مكتبة الخانجي.
الزركشي، محمد بن عبد الله، محمد أبو الفضل. البرهان في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة دار التراث.
السامرائي، د. فاضل صالح (2009)، التعبير القرآني. عمّان: دار عمار.
السامرائي، د. فاضل صالح (2007). الجملة العربية تأليفها وأقسامها. عمّان: دار الفكر.
السامرائي، د. فاضل صالح (2007). الجملة العربية والمعنى. عمّان: دار الفكر.
السامرائي، د. فاضل صالح (2009). من أسرار البيان القرآني. عمّان: دار الفكر.
سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، عبد السلام محمد هارون (2004). الكتاب. القاهرة: طبعة مكتبة الخانجي.
السيوطي، جلال الدين.عصام فارس ومحمد أبو صعيليك (1998). الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الجيل.
شيخون، محمود السيد. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم. القاهرة: طبعة دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.
الصعيدي، عبد المتعال، عبد القادر حسين (1991). البلاغة العالية (علم المعاني). القاهرة: مكتبة الآداب.

Global Proceedings Repository
American Research Foundation
ISSN 2476-017X
Available online at http://proceedings.sriweb.org
شبكة المؤتمرات العربية
http://arab.kmshare.net/

طبل، د. حسن (1999). حول الإعجاز البلاغي في القرآن. المنصورة: مكتبة الإيمان.

عبد المطلب، محمد. البلاغة والأسلوبية. مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.

كوين، جون. ترجمة د. أحمد درويش. بناء لغة الشعر. القاهرة: مكتبة الزهراء.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، د. يوسف الصميلي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: طبعة المكتبة العصرية.